التجارة والتجار في إفريقيا الغربية من خلال المصادر الأوروبية ق:14-16م

Trade and traders in West Africa through European sources: 14-16 century

Le commerce et les commerçants en Afrique occidentale à travers les sources européennes: 14-16 siècle

حسين بوبيدي[1*]

تاريخ الإرسال: 2019/06/16 **تاريخ القبول:** 2020/01/31 **تاريخ النشر:** 2020/07/01

ملخص:

تمثل المصادر الأوروبية- الخرائط والنصوص الأدبية - مصدرا بالغ الأهمية للباحثين في تاريخ غرب إفريقيا/ بلاد السودان، إذ أنها لمتركز فقط على أنشطة الأوروبيين المستكشفين، بل أعطتنا معلومات تفصيلية عن الأوضاع الاقتصادية في الصحراء والسنغامبيا، إلى جانب وصف الحياة اليومية والعادات والتقاليد المحلية للسكان، وهي تتضمن معطيات قيّمة تتعلق بالأنشطة التجارية في السنغامبيا ومناطق النيجر الأعلى؛ وتخص: الطرق والقوافل، الأسواق، السلع والأرباح، وسائل التبادل.

الكلمات المفتاحية: غرب إفريقيا، السنغامبيا، التجارة، مالفنت، فرناندیز.

Abstract :

To researchers of West African/ bilād al-sūdān history, European sources - Maps and texts- are valuables sources, for it does not focus only on the activities of Europeans explorers. In fact, these authors have also widely described contemporary political and economic conditions in the Western Sahara and sengambia, as well as the daily life and customs of the local inhabitants. These sources contain important information about trade on the West African coast and the upper Niger: roads and caravans, markets, commodities and profits, in addition to means of exchange.

Keywords: West African; Sengambia; Trade; Malfante; Fernandes.

Résumé :

Pour les chercheurs de l'histoire de l'Afrique de l'Ouest/ bilādal-sūdān, les sources européennes - Cartes et textes - sont des sources précieuses, de fait qu'elles ne se concentrent pas uniquement sur les activités des explorateurs Européens. En effet, ces auteurs ont également décrit de manière détaillée les conditions politiques et économiques contemporaines du Sahara occidental et de la Sengambie, aussi bien que la vie quotidienne et les coutumes des habitants locaux. Ces sources contiennent des informations importantes sur le commerce sur la côte ouest africaine et le haut Niger : routes et caravanes, marchés, Marchandises et profits, en plus des moyens d'échange.

Mots clés : l'Afrique de l'Ouest; Sengambie; commerce; Abraham Cresque; Ca Da Mosto.

*المؤلف المرسل:

[1] -HocineBoubidi, University of Abdelhamid Mehri Constantine 2, Laboratory for research and studies on the civilization of the Islamic Maghreb, Algeria,hocine.boubidi@univ-constantine2.dz

مقدمة:

يمثل التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية أحد أهم الأبحاث التي لا تزال في حاجة إلى دراسات تكشف عن عمق التحولات التي طرأت على المنطقة في الفترة الوسيطة، ومع أن المصادر العربية – التي تمثل المصادر الأساسية في التأريخ لهذه المجالات – قدمت مادة بالغة الأهمية في رصد مختلف الأنشطة، إلا أنها منذ القرن 13م ركزت على مناطق النيجر الأعلى، بينما بقي حوض السنغال (السنغامبيا) دون معلومات جديدة تسمح بتقديم صورة عن أنشطته ومؤسساته الاقتصادية، وقد نتج عن حركة الكشوفات الجغرافية الأوروبية العديد من الكتابات منذ القرن 15م اهتمت برصد أحوال شعوب إفريقيا الغربية في سياق مشروع التوسع والاستغلال الاستعماري، حيث أرّخت للكشوفات، ودوّنت أخبار الرحالة ومشاهداتهم باعتبارها رصدا توثيقيا يخدم مخططات الدول المموّلة.

كانت الخرائط الأوروبية قد أولت منذ القرن 14م عناية بمختلف مناطق إفريقيا الغربية؛ انطلاقا من اهتمامها بالطرق الصحراوية والحواضر الفاعلة في التبادل التجاري، والسلع المحمولة من مملكة مالي الإسلامية، وانخراطها في حركة توسعية تنافسية على ثروات الشعوب، واعتقد الأوروبيون في تلك الفترة بوجود نهر في غرب القارة الأفريقية سموه نهر الذهب(George and Kimbely, 1934, p. 283)،وقدارتبطت كتب الرحلات البرتغالية بالرغبة الملحة لملوك البرتغال في الوصول إلى مصادر الذهب والرقيق، ويهدف التنقيب في مضامينها إلى الكشف عن المادة التي توفرها حول التجارة والتجار وطبيعة المبادلات ووسائلها بالمنطقة.

لم يبلغ الرحالة الأوروبيون في هذه الفترة كل مناطق إفريقيا الغربية، وهي المجالات التي سمتها المصادر العربية بلاد السودان؛ وتشمل المنطقة التي تحدها الصحراء الكبرى شمالا، وإقليم الغابات جنوبا، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد عند الحدود الغربية لمملكة برنوالوسيطية(الدالي، 1999، صفحة 19)، وهذا المجال يضم اليوم جنوب موريتانيا، وما يعرف بحوض السنغال وغامبيا، وفولتا العليا شمال بوركينافاسو، وحوض النيجر الأعلى والأوسط؛ أي أنها محصورة تقريبا بين دائرتي عرض: 11-17 شمالا (Mauny, 1970, p. 142)، ولذلك تركزت معلوماتهم حول المناطق الساحلية، لكنها تتوسع تدريجيا نحو الداخل لمبادرة بعض الرحّالة لاكتشاف الطرق البرية والنهرية.

1– الخرائط الأوروبية بين القرنين: 14–16م.

بقيت الجغرافيا الأوروبية لمدة طويلة وفية للتقاليد القديمة التي أرساها بطليموس منذ القرن 2م، وفي مرحلة لاحقة انفتحت على بعض الكتابات العربية التي ترجمت للّاتينية؛ مثل كتاب صورة الأرض للخوارزمي (ت: بعد 232هـ847م)، ولكن يبدو أن حركة الترجمة في هذا المجال لم تكن نشطة، وهو ما حرم الأوروبيين الاستفادة من كتابات بالغة الأهمية مثل نزهة

المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي(ت 560هـ/1164م)، الذي كان من الممكن أن يجدد معرفة رسامي الخرائط الأوروبيين في القرون الوسطى بالجزء الداخلي من القارة الإفريقية منذ منتصف القرن12م ويثري معلوماتهم حوله(Mauny, 1961, p. 40)،في الوقت الذي كانت بحرية المدن الإيطالية قد شهدت تطورا لافتا، وجاب تجارها مختلف المناطق.

أول خريطة أوروبية وصلتنا هي المعروفة بخريطة بيزان/Pisan نسبة لمدينة بيزا/Pisa الإيطالية التي اكتشفت فيها، والتي تعود إلى حوالي سنة 1290م، ويعتقد أنها رسمت بمدينة جينوة/Genoa(Randles, 1988, p. 115)،وفي النصف الأول من القرن 14م، وبالضبط سنة 1320م رسم الجينوي جيوفاني داكرنيان/GiovannidaCarignan أول الخرائط الأوروبية التي يظهر فيها الاهتمام بالتجارة الصحراوية وحواضر إفريقيا الغربية، فتم تعيين مدينة سجلماسة بواحة تافيلالت غرب المغرب الأقصى،وتمت الإشارة إلى ولاتة[2] باسم:Eleuzem، ولنهر النيجر باسم النيل الغربي للسود، ولجزيرة الذهب التي سمتها المصادر العربية ونقارة باسم: Palola، وسميت المنطقة عموما بـ: بلاد السود، حيث ترد بلفظي: Ganuya/Gunaia، وسنة 1325م رسم ابن بلدته أنجيلانودالبرثو/ AngelinoDalorto خريطة تمثل تطورا هاما في الخرائط الأوروبية من خلال الإضافات التي أدخلها على عمل سلفه (Mauny, 1961, p. 41).

يبدو أن الخرائط الجينوية مثلت منطلقا لرسامي مدرسة ميورقة/Majorque، التي اشتهرت بداية بصناعة الساعات والإسطرلابات والربعيات وغيرها من الأدوات المتعلقة بعلمي الفلك والملاحة(بوفيل، 1988، الصفحات 191-192)، ثم تشكلت منها مدرسة خرائطية عبرية/يهودية، إذ حافظ اليهود الميورقيون بعد سقوط الجزيرة بيد الاسبان سنة 1229م على علاقاتهم بأبناء طائفتهم في مختلف البلدان الإسلامية بما فيها بلاد المغرب والصحراء؛ حيث كان بعضهم يمارس التجارة مع إفريقيا الغربية، ويزودهم بالمعلومات حول الطرق والسلع والممالك، ما جعلهم يتخصصون في وظيفة رسم الخرائط ويطورونها(Mauny, 1961, p. 41)،وكانت علاقات متينة تربط مملكة آرغون بممالك بلاد المغرب في هذه المرحلة، وتعززت بالعديد من المعاهدات التجارية، فأدى ذلك إلى تيسير انسياب اليهود الاسبان إلى بلاد المغرب والصحراء(بوفيل، 1988، صفحة 192).

[2]تقع ولاتةفي أقصى جنوب الشرق الموريتاني الحالي (ضمن ولاية الحوض الشرقي)، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب الصحراء، وقد كانت تسمى قديما بير/بيرو، ثم سماها البربر إيولاتن؛ ومعناه سفح الجبل في لغة التوارق، وبالتدريج صارت تعرف بولاتة(ولد السالم، 2007، الصفحات 164-165).

تعد الخريطة الملاحية لـ أنجولينودولسارت/AngelinoDulcertأول خريطة ميورقية تصلنا، وتؤرخ بسنة 1339م، وهي لقربها من خريطة أنجيلانودواليرثو وتشابه الاسمين اعتقد بعضهم أنها لنفس الرسّام، مع الإقرار أنها أكثر تطورا من الخريطةالسابقة؛ بسبب البروز الواضح للمظاهر الطبوغرافية، وتقديم تشكيل تضاريسي يشبه الخرائط الحديثة (Oldham, 1925 , p. 407)،ولأول مرة يتم تعيين المدن الساحلية والداخلية من خلال صور مصغرة في هذا النوع من الخرائط التي كانت سابقا مهتمة أكثر بالطرق البحرية، وقد رسّخ دولسارت في هذه الخريطة تقليدا تابعه عليه الرسامون الأوروبيون بعد ذلك؛ وهو تقسيم العالم إلى مسلم ومسيحي من خلال الرموز المقترنة بالمدن، بالإشارة إلى المدن المسلمة بالقبة والهلال، وللمدن المسيحية بالجرس والصليب(Sarazin, 2013, pp. 14,20)وفي هذه الخريطة نعثر على تحديد عام لمملكة مالي/Melly، ولمدن ولاتة/ Eleuzemوتنبكت/Tenbuch[3]، وترد فيه سجلماسة لأهميتها التجارية باسم: Segelmese، وتبرز الخريطة اختراق أحد الطرق لجبال الأطلس الصحراوي في إشارة إلى الطرق التجارية نحو إفريقيا الغربية(علوي، 1997، صفحة 417)، ونلحظ فيها ملك مالي جالسا على العرش مكتسيا قميصا طويلا وعمامة وبيده الصولجان، في إشارة إلى المنسى موسى (707-732هـ/1308-1332م).

نلحظ في الخريطة صدى لرحلة حج المنسى موسى الشهيرة إلى مكة المكرمة مرورا بالقاهرة سنة: 724هـ/1324م، وهي الرحلة التي تمت إحاطتها بصور عجائبية تبرز ثراء الملك ومملكته، وتعبّر هذه الصورة عن بداية تغير في طريقة نظر الأوروبيين لبلاد الزنوج، بعد أن تحكمت فيها لقرون عديدة انطباعات نمطية تنطلق من تصورهم للأقوام المتوحشة والغريبة، وهي انطباعات موروثة عن الكتابات اليونانية والرومانية في العصور القديمة (Devisse et Mollat, 1979, p. 91).

إن خريطة إبراهام كريسك/AbrahamCresques المؤرخة سنة 1375م، والمشهورة باسم الأطلس الكتلاني/AtlasCatalan المنسوبة لشارل الخامس ملك فرنسا (1354-1380م) باعتبارها صممت له أو أهديت إليه تعتبر أفضل وأكبر إنجاز للمدرسة الميورقية، وتعدّ تطويرا لخريطة أنجولين ودولسارت، فمع احتفاظها بالكثير من معالمها، عملت على إصلاحها وإضافة تفاصيل إليها، إذ تم إظهار ملك مالي ببشرة سوداء خلافا للخريطة السابقة، وهو متوّج بتاج ذهبي بديلا عن العمامة(Devisse et Mollat, 1979, p. 91)،وتظهر فيها بعض المدن الصحراوية مثل:

[3] تقع تنبكت عند ثنية نهر النيجر على بعد 26 كلم من مجراه في اتجاه الغرب(شمال جمهورية مالي حاليا)، تأسست في القرن 5هـ/11م على يد قبائل مسوفة الصحراوية، وتطورت بالتدريج لتصبح أهم مراكز الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي في العصر الوسيط(السعدي، 1981، صفحة 21).

بودة/Buda[4] في الصحارى الوسطى، وتغازة/Tagaza[5] في بالصحارى الغربية، وبعض مدن إفريقيا الغربية مثل: تمبكت/Tenbuch، غاو/Gougou[6]، مالي/Melly[7](Mauny, 1961, p. 42).

تضيف خريطة كريسك لسابقتها تاجرا بلباسه الصحراوي يمتطي جملا، ويقصد ملك مالي الذي يحمل في يده كرة من ذهب، في إشارة إلى تجارة هذا المعدن الثمين بين الصحراويين والسودانيين، كما تُظْهر فيلا في إشارة إلى تجارة العاج، وتصف العاهل السوداني بأنه:"موسى مالي عاهل الزنوج في غينيا، وهو أثرى الملوك وأنبلهم في هذه الناحية بسبب وفرة الذهب في بلاده"(Fauvelle-Aymar, 2013, p. 249)،وفي موضع على جبال الأطلس نقرأ على هذه الخريطة: "من هذا المكان يمر التجار الذين يسافرون إلى بلاد الزنوج في غينيا" (بوفيل، 1988، صفحة 193).

لم يكتف اليهود الميورقيون بتحديد الموقع السياسي للدول الواقعة جنوب الصحراء، لكنهم حددوا بدقة طريق القوافل، وأسماء أهم المراكز الصحراوية والسودانية، ورسموا أسهل مسلك للوصول لأرض الذهب، حيث قدّروا أنه مسلك: ميورقة، تلمسان، سجلماسة، ثم مدن إفريقيا الغربية(بوعمامة، 2011، صفحة 232)، وهو ما يكشف عن اندراج هذا العمل ضمن مخططات ملكية في الوصول إلى مناطق إنتاج الذهب.

تراجعت المدرسة الميورقية بعد هذا الإنجاز الذي وقّعه أبراهام كريسك، حيث لا تعدو خريطة اليهودي الميورقي مسيا دوفيلادست/ MeciadeViladestes سوى إخراجا مشوها لخريطة 1375م، ومثلها خريطة جابريالدوفالسشا/GabrieldeVallsecha سنة 1439م، وهو ما نلحظه أيضا على الكارثوغرافيا الإيطالية كما يوضحها الأطلس الجينويلباتيستابيكاريو/MeciadeViladestes المنجز سنة 1426م-(Mauny, 1961, pp. 42-43).

[4] بودة هي إحدى القصور في منطقة توات الوسطى بولاية أدرار غرب الجزائر حاليا، تقع في واد مواز لواد مسعود، وتبعد بحوالي 40كلم شرق قصور تيهي، وكانت من الحواضر المهمة في تجارة القوافل.(حوتية، 2007، صفحة 32)

[5] مملحة تغازة تعد أهم مملحة صحراوية في التاريخ الوسيط، وتقع على بعد 160 كلم إلى الشمال الغربي من تاودني الموريتانية، وقد أشار ابن بطوطة في منتصف القرن 8هـ/14م أن التعامل فيها كان بالقناطير المقنطرة من التبر، لضخامة كميات الملح التي تباع فيها (ابن بطوطة، 2007، صفحة 684)

[6] تقع مدينة غاو عند ثنية نهر النيجر في اتجاه الشرق (شمال جمهورية مالي حاليا)، وتوجد آثار المدينة القديمة شمال غاو الحالية على بعد 2.5 كلم إلى الشرق من الطريق المؤدي إلى بورام/Bourem(Mauny, 1961, pp. 112-113).

[7] اختلف الباحثون في تحديد مكان مالي عاصمة مملكة مالي الإسلامية في العصر الوسيط، ويذهب كثير منهم إلى أنها نياني/Niani في الشمال الشرقي لجمهورية غينيا قريبا من التقاء رافد سنكراني/Sankarani بنهر النيجر.(Vidal, 1924 , p. 328)

ومع ذلك؛ فإن استفادة الرسّامين من ملاحظات الملاحين وقباطنة السفن قد مكنت من تدقيق توصيف سواحل إفريقيا الغربية بالتدريج، وأصبح تحديدها دقيقا بالنسبة لدوائر العرض منذ القرن 9هـ/15م، بينما تأخر ضبط بعض الأماكن في البحر المتوسط إلى غاية القرن 17م(Randles, 1988, p. 116)، ولعل الإضافة الوحيدة التي تعد بالغة الأهمية في القرن 15م هي خريطة البندقي زوان بزقانو/ PizziganoZuane سنة 1424م، والتي تحدد الطريق إلى مملكة مالي عبر جبال الأطلس والصحراء، وتتضمن إضافات تتعلق بالسواحل المغربية الجنوبية تمثل استفادة من حركة الكشوفات الجغرافية البرتغالية.(Thilmans et Rossie, 1969, p. 66)

الشكل رقم 1: إفريقيا جنوب الصحراء في خريطة إبراهام كريسك/ AbrahamCresques سنة: 1375.

المصدر: https://www.mapmania.org/map/64401

في القرنين 16 و17م نلحظ حضور هذه الخرائط في بلدان أوروبية مختلفة، فإضافة إلى البرتغال، لدينا أعمال من فرنسا وهولندا وبلجيكا، ويمكننا أن ندرك بواسطتها التطور التدريجي في المعرفة بالعالم عموما وبإفريقيا الغربية خصوصا، من خلال تحديد الأماكن بدقة، وتبيان سلاسل الجبال، ورسم مسارات الأنهار، بالإضافة إلى تزويد الخرائط بصور تظهر بعض الحيوانات، كما تصور الإنسان من حيث اللباس وبعض الأدوات التي يستعملها، ومن المهم الإشارة هنا إلى خريطة الإيطالي جياغوموكستالدي/ GiacomoGastaldi التي وضعها سنة 1564م، والتي تحمل ملامح التأثير غير المباشر

للإدريسي، وبعض معلومات دييغو غوماز/DiogoGomes، مع اعتماد بارز على المعطيات التي قدمها الحسن الوزان عن المنطقة.(Rizzo, 2006, p. 84)

2- أهم الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في القرنين: 9-10هـ/ 15-16م.

رغم بعض دعاوى الفرنسيسكان والفرنسيين بأسبقية سفنهم في الوصول إلى نهر السنغال، فإن البحث التاريخي يؤكد أن هذه المزاعم غير دقيقة، وقد تم تفنيدها من خلال النقد الداخلي للنصوص التي حاولت إثبات ذلك باستدلالات متأخرة(George and Kimbely, 1934, pp. 284-288)،وهو ما يسمح لنا بالانطلاق في الموضوع من أقدم الرحلات البرتغالية التي وصلتنا، والتي ينبغي الإشارة بداية إلى أنها رغم أهميتها ظلت عاجزة أحيانا عن تحديد الأمكنة المتحدث عنها بدقة، بسبب غياب وسائل وأدوات قادرة على تحديد مكان يتم الوصول إليه لأول مرة، والافتقاد إلى معطيات سابقة يُنْطَلق منها، كما مثّل حاجز اللغة أحد أهم المعوقات التي جعلت أغلب الرحلات مجرد صورة انطباعية عن الآخر المختلف (Lowe, 2010, p. 316)، وكررت أحيانا روايات أسطورية قديمة تعود إلى زمن الإغريق؛ مثل الزعم بوجود كائنات بشرية لها رؤوس حيوان وأسنان كلاب/(Mauny, 1956, pp. 85,101)La cynocéphalie، بينما تضمنت مراسلات إيطالية أوصافا خيالية لخيول منطقة السنغامبيا، سواء على مستوى المظهر، أو في طريقة الحركة التي زعمت أنها إنما تقفز قفزا، وأنها أسرع من الخيول الأوروبية، وهو ما نعلم قطعا عدم صحته (Lowe, 2010, p. 324).

نعرض فيما يلي تعريفا مختصرا بأهم الرحلات الأوروبية في الفترة من القرن 15م إلى نهاية القرن 16م باعتبار التاريخ الوسيط لإفريقيا الغربية ينتهي عند المختصين سنة: 1591م التي شهدت غزو جيوش الدولة المغربية السعدية لمملكة السنغاي، وأسقطت عاصمتها السياسية غاووعاصمتها العلمية تنبكت.

2-1: غوميسآيونيس دي زورارا/GomesEanesdeZurara (1404-1474م): وهو صاحب كتاب: تاريخ اكتشاف وغزو غينيا؛ الذي يعدّ أول كتب الرحلات البرتغالية التي وصلتنا، حيث يؤرخ للحملات التي وقعت بين سنتي: 1441-1448م، وقد صدر حوالي: 1452-1453م، وباعتبار المؤلف مؤرخا رسميا لملوك البرتغال؛ فقد اعتمد على ما توفر من وثائق في البلاط الملكي، ورجع إلى ما كتب قبله، لكنه لم يسافر إلى غرب إفريقيا (Masonen, 2000, p. 125)، ومع أنه يركز أساسا على قبائل زناكة/صنهاجة بالصحراء، لكنه يشير إشارات بالغة الأهمية إلى السودان الساكنين بالقرب من نهر السنغال أيضا، وبسبب تأثره بتقاليد أدب الفروسية فقد حاول أن يدرج حملات البرتغاليين في هذه التقاليد حتى ولو تمثلت في الاتجار بالبشر!! كما يظهر في عدة نصوص من كتابه .(Newitt, 2010, p. 45)

رغم الأهمية البالغة لكتاب زورارا، إلا أنه يضم معلومات خاطئة تدل على تواضع معرفة الرحالة الأوائل بالمنطقة، إذ ينكر وجود مملكة مالي، كما يشير إلى عدم انتشار الإسلام بين الزنوج، مستدلا باسترقاق الصحراويين المسلمين لهم وبيعهم(دي آزورارا، 2015، صفحة 278)، وندرك من خلال الكتاب الطابع الرسمي لحركة الكشوفات البرتغالية، والرغبة في بلوغ إفريقيا الغربية والتوغل فيها، حيث نطلع على تأكيد متواصل بأن هذه الحركة ممولة ومنظمة من طرف الأمير البرتغالي هنري الملاح/PrinceHenry (ت:1460م)(دي آزورارا، 2015، صفحة 21).

حول الأمير هنري الملاح ودوره في تطوير الملاحة البحرية قامت نقاشات طويلة بين المؤرخين، إذ رأى بعضهم أن الأمير أقام مؤسسة علمية استدعى من أجلها علماء الرياضيات وخبراء الملاحة وعلم الفلك ورسامي الخرائط وقباطنة البحار، بينما بدأت دراسات منذ مطلع القرن الماضي تشكك في هذا الأمر، وترى أن دور هنري الملاح تم تضخيمه من كتّاب التاريخ البرتغاليين(Randles, 1993, pp. 20-26)، وقد مثلت كشوفات الرحلات الأولى التي دونها زورارا نقلة نوعية في المعرفة الأوروبية بالمجالات الساحلية لإفريقيا الغربية، إذ وضعهم اكتشاف هؤلاء "المور السود" أمام ثقافة جديدة، وسرعان ما حاولوا العمل من خلال النشاط التبشيري على جذب السودانيين إلى دينهم وثقافتهم. (Devisse et Mollat, 1979, p. 155).

2-2: أنطونيو مالفانت/ MalfanteAntonio: تاجر إيطالي جينوي بدأ رحلته من ميناء هنين غرب الجزائر، وتوغل في مسيرته إلى أن وصل إلى مدينة تمنطيطالتي تعد أهم القرى بمنطقة بتوات غرب الصحراء الجزائرية حاليا، في محاولة منه لكشف مصدر الذهب القادم إلى أوروبا من إفريقيا الغربية، وبعد مدة من استقراره بتوات أرسل سنة 1447 م تقريرا بالغ الأهمية كتب باللغة اللاتينية إلى صديق له يدعى: جيوفاني ماريوني/GiovaniMarioni، على عنوان الغرفة التجارية بميورقة، تضمن معلومات متنوعة حول الطرق التجارية، وسلع التجارة الصحراوية، وأهم المدن الصحراوية والسودانية الفاعلة في النشاط التجاري؛ مثل:سجلماسةوتمنطيطوتاكدة[8]وتادمكة[9]وكوكيا[10] وغاو وتنبكت وجني[11] وغيرها

[8] تقع تاكدة على بعد 200 كلم شمال شرق مدينة أغدس النيجيرية، وقد أشار ابن بطوطة إلى وجود منجم مستغل للنحاس بها منتصف القرن 8هـ/14م (ابن بطوطة، 2007، صفحة 705).

[9] تسمى تادمكة اليوم: السوق؛ وتقع إلى الشمال من مدينة غاو شمال جمهورية مالي (Delafosse, Haut- Sènègal-Niger, 1912, T1, p. 55)

[10] تقع مدينة كوكيا جنوب غرب النيجر الحالي، على بعد 150 كلم جنوب غاو، وتعرف اليوم باسم: بنتيا/Bentya ضمن منطقة تيلابيري/(Tillabéri(Delafosse, 1912, T2, p. 60وهي جزيرة على نهر النيجر، وفي المصادر البرتغالية وردت المدينة عند كاداموستوباسم: كوشيا/.(Cochia(De ca' da Mosto, 1895, pp. 62-63

(De la Roncière, 1918, pp. 7-8)، ولأن رسالة مالفنت لم تكن سوى إعلاما مختصرا بالمعلومات التي تحصل عليها في توات دون قصدية التأريخ، فقد جاءت مختصرة وخالية من التفاصيل، ومفتقدة لتحديد مواقع المناطق التي ذكر أسمائها.

2-3: ألفيس دو كاداموستو/ (AlviseDeCaDaMosto1488-1428م): رحالة إيطالي من البندقية، دفعته الأوضاع المادية الصعبة لعائلته إلى المغامرة بالعمل عند الأمير هنري الملاح، فقام برحلتين إلى غرب إفريقيا في المرحلة بين سنتي: 1455-1457م وصل فيهما إلى جزر الرأس الأخضر والسنغال وغامبيا وغينيا العليا، ثم عاد إلى البندقية بين سنتي: 1463- 1464، وأنهى كتابة رحلته سنة: 1468(Masonen, 2000, p. 129)،وتكتسي المعلومات التي أوردها أهمية بالغة جدا في وقت تراجعت فيه الكتابات التاريخية حول إفريقيا الغربية، إذ أنها كتبت في فترة مليئة بالتطورات السياسية في المناطق الداخلية التي شهدت صراعا عنيفا بين مختلف المجموعات السودانية ممثلة في: السنغايوالملنكي والولوف، وبداية بروز الفلان كقوة سياسية على الساحة(أوشن، 2001.ج1، صفحة XIX).

يعد كتاب كاداموستو مصدرا بالغ الأهمية للباحثين في تاريخ غرب إفريقيا، فهو لم يركز فقط على أنشطة البرتغاليين، بل أعطانا معلومات تفصيلية عن لأوضاع الاقتصادية في الصحراء والسنغامبيا، إلى جانب وصف الحياة اليومية والعادات والتقاليد المحلية للسكان، وكانت كل معلوماته ناتجة عن تجاربه الخاصة وما سمعه من زملائه الملاحين، ولم يعتمد على أية وثائق ملكية أو مراسلات سلطانية؛ لأنه لم يصل إلى منصب يتيح له ذلك كما كان حال زورارا وبعض المؤلفين الآخرين(Masonen, 2000, p. 131)،ورغم ذلك فإن التفاصيل الواردة حول المناطق الساحلية أهم بكثير من تلك المتعلقة بالداخل، وتستحوذ على أغلب الكتاب، وتمثل للمتمعن فيها نظرة الأوروبي للآخر المختلف لونا ولغة ودينا وثقافة، لذلك لم تخل من الأحكام الانطباعية المتسرعة.

2-4 : دييغو غوماز/DiogoGomes (؟- 1502م): رحالة ومستكشف برتغالي من الذين عملوا مع الأمير هنري الملاح، كتبت أخبار رحلته بألمانيا بين سنتي 1483- 1484م، لكنها القراءة الفاحصة لها تدل على أنها تحمل في طياتها معلومات تتجاوز هذه المرحلة لتصل إلى سنة 1496م؛ مما يدل على أنه تمت مراجعتها والإضافة عليها بعد إملاء صاحبها لها .(Boisvert, 2000, p. 165)

[11] تقع مدينة جني على نهر النيجر في مجراه الغربي (وسط جمهورية مالي)، ولا تزال تحمل نفس الاسم إلى اليوم، وهي امتداد للمدينة القديمة القريبة منها: جني جنو/Jenne-jeno التي يعود تاريخها إلى القرن 3 ق م(Mauny, 1961, p. 499).

كتب غوماز رحلته من ذاكرته دون أي اعتماد على المؤلفات السابقة له، وكان قد وصل إلى غرب إفريقيا في رحلتين؛ الأولى سنة: 1456م والأخرى حوالي سنة: 1460م ؛ حيث بلغ مناطق السنغامبيا، وقد تضمن كتابه أخبارا عن الأوضاع السياسية في محيط نهر غامبيا، وقدم لنا معلومات ضافية حول مجموعة الماندينغ التي كانتتشكل أهم سكان في هذه المنطقة، واهتم بتجارة الذهب والقوافل التي تصل لأجله من المشرق والمغرب، ودور مدن غرب إفريقيا مثل كوكيا وغاو وتنبكت وجني ومالي في ذلك (Masonen, 2000, p. 138).

2-5: فالنتين فرناندیز/ValentimFernandes (؟؟14- 1519/1518م): أصله من مدينة مورافيا/ Moravia بألمانيا، واستقر بلشبونة منذ سنة 1495م، ومع أنه لم يقم بأي رحلة إلى غرب إفريقيا، فقد استطاع من خلال علاقته الطيبة بالملكة ليونوردولنكستر/LeonordeLencastre زوجة الملك البرتغالي دوم جواو الثاني/DomJoãoII (1455-1495م) أن يطلع على العديد من المراسلات والتقارير الملكية ومدونات الرحالة وأرباب السفن من أجل كتابة كتابه (Newitt, 2010, pp. 74-75)، الذي قام بتقسيمه إلى قسمين؛ شمل الأول أخبار رحلات سنتي1506- 1507وعنون لها بـ:

Description de la côte d'Afrique, de Ceuta au Sénégal 1506-1507.

بينما يضم الثاني معلومات أوسع تشمل الفترة ما بين 1506-1510معنونة بـ:

Description de la côte occidentale d'Afrique:Sénégal du Cap de Monte, Archipels 1506-1510.

ضم هذا المصدر معلومات تفصيلية كثيفة جدا شملت حوض النيجر الأعلى وحوض السنغامبيا، واحتوى على دراسة طبيعية وبشرية للمجال ضافية بالمعلومات، وعلى رصد دقيق للأنشطة الاقتصادية المختلفة، للحد الذي يمكن اعتباره أهم المصادر الأوروبية الوسيطية.

2-6: دورات بشيكو بريرا/DuratePachecoPereira(1460؟-1533م): قام برحلته بين سنتي: 1505-1508، ويعد كتابه بمثابة مجموع الخبرة البرتغالية حول إفريقيا الغربية، والتي تجاوزت إلى عهده نصف قرنمن الاكتشاف والتدوين، (Boisvert, 2000, p. 165)، ومع أن المؤلف عاش إلى سنة 1533م إلا أن معلوماته غير تامة، فهي تؤرخ للحوادث التي عاشها إلى غاية سنة 1506 فقط (Newitt, 2010, p. 43)، ويبدو أن عدم إتمام بريرا لأخبار رحلته يتعلق بما تعرض له من متاعب مع السلطات البرتغالية، فبعد أن كان مرشحا ليكون حاكما على قلعة ألمينا/Elminaالإفريقية – الواقعة اليوم جنوب غانا على المحيط الأطلسي- انتهى به الأمر مقادا إلى لشبونة بالسلاسل، متهما بمجموعة من التهم، وذلك ما جعله يكمل حياته غريبا بالمدينة إلى غاية وفاته، ومع أننا لسنا متأكدين من اعتماد

بريرا على الأرشيف البرتغالي في عمله، إلا أن القراءة الفاحصة للنص تدل على رجوعه إلى بعض النصوص السابقة عن رحلته.(Masonen, 2000, pp. 137-138)

ضم كتاب بريرا معلومات تفصيلية دقيقة وبالغة الأهمية عن شعوب الماندينغ والولوف في غامبيا وعلاقاتهم بالبرتغاليين، وعن تجارة العبيد والعاج والذهب والطرق الداخلية والصحراوية، ودور مدن إفريقيا الغربية في الحركة الاقتصادية في عصره وخصوصا تنبكت وجني، لكن أهميته الكبرى تتعلق بمناطق ليبيريا والبنين، وإذا كانت معلوماته قيمة حول شعوب المنطقة الساحلية، فإن الكتاب يستمر في استنساخ بعض التصورات القديمة، وخاصة تلك التي تعود لهيرودوت وبطليموس حول المناطق الداخلية وشعوبها الهمجية المتوحشة.

2-7: أندريه دونلا/ AndréDonelha : ولد بجزر الرأس الأخضر بين سنتي: 1550-1560م، ثم انتقل للدراسة في سانتياغو، كان والده يشتغل بتجارة العبيد، وقام بـ 3 رحلات إلى غرب إفريقيا بين سنتي 1570و1580م، ومن أهم ما تضمنته رحلته من معلومات ما تعلق بالحروب وتجارة العبيد، ومدى تقبل السكان للمسيحية .(Newitt, 2010, p. 79)

2-8: أندري ألفاراسدالمادا/ AndréAlvarezd'Almada (؟-؟): تتبين أهمية هذه الرحلة في حجم المعلومات التي أوردها عن ممالك الولوف وعاداتهم وطبيعة عيشهم في السواحل الغربية للمنطقة، كما خصص الجزء الأكبر من مؤلفه للحديث عن مجموعة الماندينغ السودانية في غامبيا، حيث قدم لنا معلومات تفصيلية عن أوصاف أسواقهم الكبرى، وتنظيماتهم السياسية وطريقة حروبهم (بنرمضان، 2015، ج1، صفحة 23)، ورغم الجهل بتاريخ ميلاده ووفاته فإن النص يبين أن الرحلة وقعت سنة: 1594.

3-تقارير السفن الأوروبية:

يضاف إلى الرحلات السابقة مجموعة من تقارير السفن، والتي جاءت ضافية بالمعلومات حول التعاملات التجارية بين السكان في إفريقيا الغربية، أو بينهم وبين البرتغاليين، وقد عدّ منها ريمون موني 13 كتابا تتباين أهميتها وقيمة معلوماتها(Mauny, 1975, pp. 79-80)؛ ومن أهمها في موضوعنا :

- تقرير رحلة السفينة البرتغالية Santa-MariadaComeiça سنة1522م، التي رصدت مادة قيمة حول الأسواق والسلع ووسائل التبادل(Mauny, 1967, pp. 512-535).

- تقرير السفينة البرتغالية Santiago سنة: 1526م، التي تضمنت إشارات تفصيلية عن تجارة العبيد وتطور حرفة النسيج في السنغامبيا، وعن ألبسة السودانيين، ومختلف السلع التي نقلتها السفن البرتغالية للسواحل الغربيةبالمنطقة .(Da Mota et Mauny, 1975, pp. 589-603)
- تقرير فرانسيسكو دي أندراد/ Francisco d'Andrade الذي كتبه سنة 1582م، وقد ذكر فيه معلومات بالغة الأهمية حول جنوب السنغال وغينيا بيساو والسيراليون، وغلب عليه الطابع الاقتصادي، وكانت أكثر دقة من المصادر البرتغالية السابقة له، فشملت التجارة البينية والإقليمية وعمليات التبادل مع الأوروبيين(أوشن، 2001.ج1، صفحة xxii).
- تقرير الرحالة الإنجليزي ريشردراينولد/Richard Rainoldsسنة: 1591م، الذي تتوفرفيه معلومات قيمة حول تجارة الذهب والعاج والجوزة الصحراوية في سواحل السنغامبيا، وأهم الأسواق بالمنطقة، والسلع المعروضة والتبادل الأوروبي الإفريقي فيها.(Boulegue et Marquet, 1971, pp. 1-13)
- تقرير السفينة الهولندية التي قادها ديريك رويتر/DierickRuitersالمؤرخ بسنة:1611م، وقد وردت فيه معلومات عن الأسواق السودانية والسلع التي تباع فيها؛ مثل النبيذ، والجلود، والعاج، والنحاس، وجوز الكولا، والألبسة وغيرها.(Thilmans et Rossie, 1969, pp. 107-119)

4- مظاهر الأنشطة التجارية:

4-1: الطرق والقوافل:

اهتمت الخرائط الأوروبية بالطرق التجارية الصحراوية منذ أنجولينو دولسارت الذي أشار للطريق الغربي الرابط بين بلاد المغرب وإفريقيا الغربية من خلال تبيان منطقة عبوره للأطلس الصحراوي من ناحية المغرب الأقصى، وهي ذات الإشارة التي حافظت عليها خريطة إبراهام كريسك بعد ذلك (علوي، 1997، صفحة 417)، وتشير المصادر إلى أن إفريقيا الغربية ليس فيها طريق ثابت للقوافل إلا الطريق الساحلي الذي يمر بمحاذاة المحيط الأطلسي، وأن التجار يهتدون في أسفارهم بالنجوم والرياح والطيور (دي آزورارا، 2015، الصفحات 278-279)، وهو ما أشارت له المصادر العربية من قبل(الإدريسي، 2007، صفحة 140)، لذلك كان الحديث عن الطرق إشارة إلى ارتباط المدن والأماكن ببعضها البعض بمسالك مختلفة اعتاد السودانيون والتجار على سلوكها.

في المناطق الداخلية الغربية المحاذية للسواحل الأطلسية يشير بريرا إلى بعض شبكات الطرق التي كان يسلكها التجار، والتي تمتد من غامبيا إلى غاية قلعة ألمينا/Almina، حيث كان السكان يقصدون بلاد الطوم/Toom لشراء الذهب

مقابل السلع والعبيد(Mauny, 1956, pp. 65-67)[12]، وفي وسط إفريقيا الغربية يشير فرناندیز إلى أهمية الطريق النهري الذي يربط بين مدينتي تنبكت وجني على مسافة 14 يوما، باعتبار الأولى ملتقى الطرق التجارية الصحراوية، والثانية منطقة تجميع سلع الشمال لإعادة تصديرها نحو إقليم الغابات ومختلف المناطق الداخلية (Fernandes, 1938, p. 85)، بينما يذكر كاداموستو وجود خط للقوافل يربط مدينة مالي ببلاد المغرب من خلال طريق يعبر على تنبكت مدة سيره 30 يوما، ليخترق الصحراء ويتجه نحو وجهات مختلفة مثل: تونس، تيارت، هنين، وهران، فاس، وغيرها من المدن الشمالية، ومن جهة أخرى تمثل كوكيا معبر الطريق المتجه شرقا نحو القاهرة ودمشق (De ca' da Mosto, 1895, pp. 55-56,62-63).

بخصوص المسالك الصحراوية يؤكد مالفنت أن حاضرة تمنطيط في توات مثّلت في القرن 9هـ/15م ملتقى لمختلف القوافل المغربية التي تقصد مختلف مناطق إفريقيا الغربية، وأن التجار يتجهون منها نحو تنبكت وكوكو، يقودهم أدلاء من الملثمين العارفين بتلك المسالك(De la Roncière, 1918, pp. 8-9)، وحول الطرق التي تربط بين الممالح الصحراوية والمدن السودانية يشير كاداموستو إلى وجود طريق نشطة في عهده تربط بين مملحة تغازة ومدينة تنبكت على مسافة تبلغ: 40 يوما(De ca' da Mosto, 1895, pp. 55-56)، وإذا كان هذا الأخير لم يحدد محطات هذه الطريق، فإن فرناندیز كان أكثر تحديدا عند حديثة عن مملحة إيجيل[13]، حيث رسم مسار الطريق الذي يعبر جبال البافور (جبل آدرار بموريتانيا حاليا) من خلال خط يمر على قصور وادان[14] ثم تيشيت[15] في مدة قدرها بـ 7 أيام، ثم يبلغ سالكه

---

[12] المقصود ببلاد الطوم هنا منطقة الأشانتي بجمهورية غانا حاليا حسب دولافوس(Delafosse, 1925, p. 331)، وفي تحديد أدق يقترح خالد أوشن أن تكون المناطق المقصودة في هذه الشهادة المصدرية تلك التي تقع في المجال الجغرافي الممتد من أقصى جنوب شرق منابع نهر بني/Bani الذي يلتقي مع نهر النيجر عند المستنقعات المحيطة ببحيرة دِبْ/Débo، إلى الضفة اليمنى لنهر الفولطا الأسود، أي بين خطي العرض 8 جنوبا و10 شمالا وخطي الطول 4 شرقا و8 غربا(أوشن، 2001.ج2، صفحة 750).

[13] تقع مملحة إيجيلشمال غربي آدرار الموريتانية في حدود تيرس الزمور، وفي بداية القرن العشرين كانت تمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 30 كلم، و10 كلم من الشرق إلى الغرب، وهو ما يعني أنها كانت أوسع من ذلك بكثير في العصر الوسيط، ولا تزال مستغلة من سكان المنطقة إلى اليوم(Prudhomme, 1925, p. 213).

[14] تقع وادان على بعد 100كلم تقريبا إلى الشمال الشرقي من مدينة شنقيط، في ولاية آدرار من الشمال الموريتاني الحالي (ولد السالم، 2007، صفحة 181).

[15] تقع تيشيت إلى الشرق من مدينة تجكجة على مسافة 250كلم، وهي تتبع ولاية تكانت ضمن النطاق الشرقي من موريتانيا الحالية، وهي من مدن الواحات التي كانت إحدى محطات القوافل القاصدة إلى بلاد إفريقيا الغربية والعائدة منه عبر توات وتنبكت(ولد السالم، 2007، صفحة 181)

ولاتة بعد 8 أيام، لتنتهي الطريق بعد 15 يوما إلى تنبكت التي كانت تعد يومها مركز التجميع الملح قبل نقله إلى المدن الداخلية لإفريقيا الغربية (Fernandes, 1938, pp. 83-85)

لم يكن سلوك الطرق التجارية سهلا من طرف التجار، ففي المجالات الصحراوية كان خطر قطاع الطريق يتهدد التجاربنهب القوافل أو قتل أصحابها، مما يضطرهم إلى أكل اللحم نيئا في جبال البافور خوفا من أن يؤدي إشعال النار لكشف القافلة وتعرضها للخطر(Fernandes, 1938, p. 83)، وكانت الصراعات الداخلية بين العرب البرابيش (الرحامنة وأولاد عمر) أو بينهم وبين القبائل الصنهاجية المختلفة مما يخيف القوافل أيضا، وبسبب ثقافة الغزو كان السودانيون يفضلون الاتجار مع الصنهاجيين دون العرب البرابيش(Fernandes, 1938, pp. 69,71)،بالإضافة إلى مشكلة نقص المياه في هذه المسالك، والتي تضطر التجار إلى البحث عن أماكن تجمّعه في بعض الصخور، أو اللجوء لذبح الجمال لشرب ما خزّنته في بطنها منه.(Fernandes, 1938, pp. 75,81)

ولم يكن المسير في مناطق إفريقيا الغربية أقل خطورة من الصحراء دائما، إذ أنه بسبب الأمراض الناتجة عن الحرارة الشديدة فإن القافلة المشكلة من 400 شخص قد لا يعود منها إلا 20-25 من العرب أو صنهاجة، بسبب عدم القدرة على مداواة الذين يمرضون حسب كاداموستو(De ca' da Mosto, 1895, p. 55)، أما السودانيون فكانوا أكثر تحملا لهذا المناخ بسبب اعتيادهم عليه وتأقلمهم معه، لكن عجز الحيوانات عن سلوك المناطق الوعرة جعلهم يعتمدون على العبيد في قوافلهم (Fernandes, 1938, p. 87).

4-2:وسائل النقل:

تشير الخرائط والمصادر الأدبية الأوروبية إلى أن الجمل كان هو وسيلة النقل الأساسية في التجارة الصحراوية، حيث يظهر في الخرائط يمتطيه أحد التجار الصحراويين متجها إلى المنسى موسى الذي يشير له بكرة ذهبية، ويرد في العديد من المصادر المكتوبة (Fernandes, 1938, p. 101)، وداخل إقليم السّفانا يخلي الجمل مكانته تدريجيا للثيران الحمالة التي تحتاج إلى المراعي والماء باستمرار، وإضافة إلى نقل البضائع كانت هذه الثيران تستعمل للركوب، فقد نقل لنا فارنديز مشاهدته لأحد ملوك الماندينغ يمتطيها في طريقه للحرب(Fernandes, 1951, p. 39)، واستعمل السودانيون الأحمرة في تنقلاتهم القصيرة وفي الطرق الوعرة (دي آزورارا، 2015، صفحة 100).

من جهة أخرى أشارت المصادر البرتغالية أن مدينة جني مثّلت إحدى أهم محطات انطلاق قوافل مجموعة الونغارة السودانية التي تستعمل العبيد الحمّالين، حيث يتم فيها تجزئة ألواح الملح إلى قطع يستطيع الحمالون حملها فوق رؤوسهم، فيرسل كبار التجار في المدينة معهم مابين 100 و200 عبد لمبادلة هذا الملح بالذهب في المناطق الغابوية ,Fernandes)

(1938, p. 87، وسبب ذلك أن وعورة الطرق والحاجة إلى تجنّب بعض الأماكن الخطيرة – حيث يترصد قطاع الطرق التجار– تمنع من استعمال الحيوانات، وكانت قطع الملح تقطع بحيث يحمل كل عبد قطعة واحدة على رأسه (De ca' da Mosto, 1895, pp. 57-58).

ونبهت هذه المصادر إلى أهمية القوارب في عملية نقل السلع، فقد أكد كاداموستو أن النقل النهري معتمد في إفريقيا الغربية على مسافة حوالي 500 ميل من الطرق النهرية (De ca' da Mosto, 1895, p. 4)، وكان أهمها الطريق الرابط بين تنبكت وجني (Fernandes, 1938, p. 85)، ومن خلال بعض التوصيفات ندرك الأحجام المختلفة لهذه القوارب، فقد استعملوا قوارب كبيرة وصغيرة ومتوسطة، حيث يكتب زورارا أن القوارب السودانية تحمل ما بين 4 و7 أفراد (دي آزورارا، 2015، صفحة 270، 300، 332)، وقد لاحظ فرناندیز في رحلته أن سكان المناطق الساحلية كانوا يملكون قوارب تحمل بين 3 و6 أشخاص، وبعضها يحمل 12 فردا مع 3 أو4 أبقار (Fernandes, 1951, p. 29)، بينما يصف كاداموستو أنواعا أكبر منها، يتراوح عدد المجدّفين فيها بين: 25 و40 شخصا (De ca' da Mosto, 1895, pp. 58,85,137,177)، ويشير بريرا في نص حول إحدى المناطق الساحلية إلى أن بعض القوارب يمكنها أن تحمّلعددا كبيرا من المجدفين يصل إلى 80 مجدّفا، وأنها تستعمل لنقل العبيد والمواد الغذائية (Mauny, 1956, p. 147)، وبإشارة كل المصادر إلى المجداف والمجدّفين ندرك أن السودانيين في هذه المرحلة لم يستعملوا الشراع في ملاحتهم النهرية.

4-3: الأسواق:

كانت الأسواق في إفريقيا الغربية تقام بطريقة دورية، ويعتمد الفارق في المدة بين انعقاد سوق وآخر على الفعالية التجارية للمنطقة من حيث أهميتها في تبادل مختلف السلع، فالمصادر البرتغالية تخبرنا أن بعضها يقام مرة كل ثمانية أيام من خلال تدوير موعد السوق على أيام الأسبوع بالتوالي، وفي مناطق أخرى بحوض السنغال كان السوق يومي الاثنين والجمعة(Fernandes, 1951, p. 69).

يقدم لنا فرناندیز توصيفا بالغ الأهمية يتعلق بأحد أسواق منطقة الكزامانس[16] جنوب السنغال، حيث يقيم الناس سوقهم كل ثمانية أيام، يحضره الناس من مختلف المناطق، والتي قد تبعد عن مكان السوق بما بين 15-20 فرسخ/90-120

[16] تقع منطقة الكزامانس/ Casamance في الجزء الجنوبي من جمهورية السنغال ، وهي الأراضي المحيطة بالنهر الذي يحمل هذا الاسم، والذي يبلغ طوله 320 كلم.

كلم، وكان ملك المنطقة يأمر الحراس بضرورة تجريد المتسوقين من أسلحتهم، ويمنع دخول المرضى بالأمراض المعدية، والأشخاص المعروفين بالشّجار وإثارة المشاكل (Fernandes, 1951, p. 69).

يخصص المسؤولون عن السوق لكل سلعة رواقا خاصا بها فلا تختلط بغيرها، وهذا التنظيم يبدو أنه تقليد لنظام السوق ببلاد المغرب، وتستثنى بعض أنواع الأنبذة- ومنها نبيذ العسل المنتشر بكثرة- من ذلك، حيث تباع في كل الجهات، ويشرف على السوق نائبان للملك يوفران الحماية للناس وخاصة للأجانب، ويراقبان مختلف الأنشطة، وقدّر فرناندیز عدد الذين يرتادون هذا السوق بما بين 7000 و8000 شخص يحملون إليه مختلف أنواع السلع، ومع أن ترتيب السلع واتخاذ أماكن البيع يبدأ باكرا، فإنه يبلغ أوج نشاطه حوالي الساعة 10 صباحا ويستمر إلى غاية المساء (Fernandes, 1951, p. 69).

4-4: وسائل التبادل:

أكد كاداموستو انعدام العملة النقدية في الصحراء ومناطق السنغامبيا في القرن 15م، حيث كانت المقايضة هي وسيلة التبادل الأساسية في إفريقيا الغربية(De ca' da Mosto, 1895, p. 66)، وهو ما استمر بعد ذلك على عهد فرناندیز (Fernandes, 1938, p. 85)، ومن خلال استقراء النصوص الأوروبية يمكن تقديم أهم المواد التي مثلت وسائلا للتبايع، والتي تمثلت في:

***المثقال الذهبي:** وقد أشارت له العديد من المصادر الأوروبية عند حديثها عن تقييم السلع في مختلف المناطق بإفريقيا الغربية، ولم تحدد لنا هذه المصادر وزنه في الفترة المدروسة(De ca' da Mosto, 1895, p. 55)، لكن المستكشفين الأوروبيين في القرن 19 حددوا ذلك بما بيّن تفاوت هذا الوزن من منطقة لأخرى، حيث تراوح بين: 3.75 و4.5 غ(أوشن، 2001. ج2، الصفحات 983-984).

***الملح:** يعد أهم ما يتبايع به السودانيون بعد تقطيعه إلى قطع صغيرة (De ca' da Mosto, 1895, p. 55)، ولأن الملح هو أهم سلعة يحملها تجار الشمال فهو قابل للمقايضة بجميع السلع السودانية، ولذلك كان يبادل بالذهب باعتباره أهم ما يوفره السودانيون لهم.

***الودع:**تدل النصوص على أنه من أكثر ما يتعامل به السودانيون، ففي سواحل السنغامبيا سنة: 1522م كان الودع يمثل أهم وسيلة للتبادل، ونقل لنا البرتغاليون الأسماء التي أطلقت على أعداد مخصوصة من الودع؛ وهي:

Poule /Galinha أي الدجاجة: وتساوي 40 ودعة.

Chévre/ Cabra: أي المعزة؛ وتساوي: 910 ودعة،أي: 22 دجاجة (Mauny, 1967, p. 515)

النحاس:لاحظ بريرا في رحلته أن التجار في إفريقيا الغربية كانوا يستعملون الأساور النحاسية لتبادل السلع بينهم(Mauny, 1956, pp. 40,65,85,90)،ويشير تقرير السفينة البرتغالية: Santa-MariadaComeiça أن شراء العبيد بهذه القضبان بدأ منذ القرن 15م؛ لكن استعمالها لم يكن واسعا، وقدر قيمة 8 قضبان بـ: 1 معزة ودعية(Mauny, 1967, p. 513).

القماش: كان من الوسائل المستعملة على نطاق ضيق في سواحل السنغامبيا حسب تقرير السفينة البرتغالية:-Santa Maria da Comeiça (Mauny, 1967, p. 513).

5 – التجارة الخارجية:

5-1: الصادرات:

يرد الحديث عن بحيرة الذهب في العديد من الخرائط الأوروبية بأسماء عديدة أبرزها اسم: Palola، وفي خريطة إبراهام كريسك وردتباسم:بحيرة النيل/ lacanill، ويبدو أنها امتداد لجزيرة ونقارة عند الإدريسي(الإدريسي، 2002. ج1، صفحة 296)، والذي قد يكون مصدر معلومات الأوروبيين عنها كتابات وسيطة نقلت عنه، ورسّخ هذه الرؤية لاحقا دييغو غوماز، وفي سنة 1564 ظهرت البحيرة في خريطة الإيطالي جياغوموكستالدي وهي تحمل اسما جديدا هو: LagodiGiber(Rizzo, 2006, pp. 82,84)، وقد انتهت سوزان ماكنتوش/S. K. McIntoshبعد فحص دقيق للمصادر العربية والأوروبية؛ إلى أنهذه المنطقة التي تعددت تسمياتهاتقع شمال دلتا النيجر الداخلية، وقد ربطت ذلك بالدور الذي أدته مدينتا جيني جنّو ثم جني في تجارة الذهب ضمن هذه المنطقة، معززة وجهة نظرها بنتائج الأبحاث الأثرية.(McIntosh, 1981, pp. 145-158)

وفي المصادر الأدبية نلحظ أن الرحالة الجينويمالفنت رغم اهتمامه الكبير بتجارة الذهب،فقد عجز عن الوصول إلى معلومات حول مصدره، إذ يشير أن الأجوبة التي كان يتلقاها من التجار تبين أنهم ذاتهم لا يعرفون منطقة استخراجه رغم مشاركتهم الطويلة في التجارة الصحراوية، حيث قال له أحدهم : لقد أنفقت أربعة عشرة سنة في بلاد الزنوج، ولم أشاهد أو أسمع رجلا يمكنه أن يقول عن دراية تامة: هذا ما رأيته، وهذه كيفية عثورهم على الذهب (De la Roncière, 1918, p. 21).

تظهر المعلومات حول مناجم الذهب بالتدريج في المصادر الأوروبية، إذ يذكر فرناندیز وجود 7 مناجم تتبع لسبعة ملوك، يعمل فيها العبيد السود مقابل الأكل والشرب فقط، وأنهم بسبب العمل المتواصل في الوحل يبدون بيضا، كما تعمل معهم نسائهم وأولادهم، وينقل المؤلف نفسه عن دييغو غومازوجود الذهب في منطقة: جلو/Geluفي مرتفعات فوتا

جالون/FoutaDjallonبجمهورية غينيا(Fernandes, 1938, p. 87)، أما بريرا فيؤكد أن الذهب يكثر في بلاد الطوم/Toom الواقعة على بعد 200 فرسخ من مملكة المندينغ، وفي منطقة بيتو/ Beetuu(Mauny, 1956, pp. 56,67)، وبالإضافة إلى موقعين سمى أحدهما فرانسيسكو دي أندراد – أحد قادة السفن البرتغالية –: كوفالا/Cofala في منطقة بين نهري السنغال وغامبيا، والثاني عند النهر الكبير/RioGrandفي غينيا بيساو حاليا (Boulègue, 1967, pp. 83,85).

حاولت الدراسات الحديثة تحديد المناجم التي أشارت لها المصادر الأوروبية، فتم اقتراح مناطق السيراليون وليبيريا للمناجم السبع التي أشار لها فرناندیز، وبالنسبة لمعلومات دييغو غومازفيعتقد أن منطقة جلو/Geluتقع ضمن مرتفعات الفوتا جالون/FoutaDjallonفي جمهورية غينيا، حيث تتدحرج من هذه المرتفعات أودية كبيرة وصغيرة تسير في اتجاه الغرب، تتطابق مع توصيف المكان الذي أشار إلى تواجد مناجم الذهب به(بنرمضان، 2015، ج1، صفحة 136،138)،أما منجم بيتو/Beetuuعند بريرافيبدو أنه إحدى المناجم في ساحل العاج أو غانا، وهي مناجم كانت نشطة قبل وصول البرتغاليين إلى هذه المجالات .(Mauny, 1961, pp. 294,298)

لقد كان الذهب أهم صادرات إفريقيا الغربية، حيث كان يبادل بالم(Fernandes, 1938, p. 85)، والنحاس (De ca' da Mosto, 1895, p. 45)، ومثلت القصور والحواضر الصحراوية مثل: شنقيط ووادان وولاتة أسواقا بالغة الأهمية في تجارته، خاصة أن اليهود القاطنين بولاتة كانوا من الصاغة الذين يشتغلون بتحويل التبر إلى مجوهرات لرفع ثمنه(Fernandes, 1938, p. 85)، وكان الذهب منذ القرن 9هـ/15م ينتهي إلى المشرق والمدن المغربية أو إلى البرتغاليين بالسواحل الأطلسية (De ca' da Mosto, 1895, p. 55)، وفي الصحراء كان يكثر عند نساء البيضان (دي آزورارا، 2015، صفحة 279).

يأتي العبيد في المرتبة الثانية بعد الذهب ضمن صادرات إفريقيا الغربية، حيث يشتريه سكان الصحراء (دي آزورارا، 2015، صفحة 277)، ويحمله البربر إلى تونس وغيرها (De ca' da Mosto, 1895, p. 48)،كما نشطت تجارة العبيد مع البرتغاليين منذ وصولهم للسواحل الأطلسية (Boulègue, 1967, p. 81)،وكان السكان يبادلونهم بمختلف السلع، مثل: الودع والنحاس(Mauny, 1967, pp. 515,516)، والخيول التي كانت قيمتها جد مرتفعه (De ca' da Mosto, 1895, pp. 40,69)، ومختلف أنواع الأقمشة (دي آزورارا، 2015، صفحة 308)، وقد أشارت وثائق إيطالية إلى وصوله لأوروبا عن طريق لشبونة منذ سنة: 1440م(Lowe, 2010, p. 313)

صدّرت إفريقيا الغربيةأنواعا مختلفة من التوابل أهمها الجوزة الصحراوية/AframomumMelegueta المعروفة باللاتينية بحبة الجنة/(Cranaparadisy(De ca' da Mosto, 1895, p. 45، وبهار ينبت في المناطق الغابية يسمى ببهار الأشانتي/(Piperguineense(Mauny, 1956, p. 101، وقد تمت الإشارة إلى هذه التوابل في بعض المراسلات الإيطالية التي تعود إلى القرن 15م(Lowe, 2010, p. 323)، بالإضافة إلى العاج الذي وجد بكثرة في المنطقة، إذ كان السكان يصطادون الفيلة لأجل الحصول عليه من أنيابها التي يكثر عليها الطلب من التجار الأوروبيين (Fernandes, 1951, pp. 17,55,69)، وكان من السلع التي سجلت تقارير السفن البرتغالية شرائها (Boulègue, 1967, p. 81)، كما صدر السودانيون إلى البرتغاليين أيضا جوز الكولا الذي سرعان ما اشتد طلبهم عليه (Boulègue, 1967, p. 87)، وصدروا إلى سكان الصحراء الأسلحة الحديدية بعد أن كانوا سابقا يستوردونها منهم (Fernandes, 1938, p. 97).

5-2: الواردات:

أشارت الخرائط الأوروبية إلى أهم مملحة في الصحراء وهي مملحة تغازة؛ ثم ذكرتها النصوص الأدبية بسبب الكميات الضخمة من الملح التي توفرها(De ca' da Mosto, 1895, pp. 54,55,57)، ومنذ النصف الثاني من القرن 15م تمت الإشارة إلى مملحة إيجيل شمال غربي آدرار الموريتانية (Mauny, 1961, p. 327)، وقد حدد فرناندیز موقعها على بعد فرسخين من الجبل الذي يحمل هذا الاسم (جبل إيجلي)، ومنها تنقل القوافل الملح باتجاه وادان وتيشيتوتنبكت.(Fernandes, 1938, pp. 79,83)

كان تجار الملح من أهل الصحراء أو المسافرين يحفرون عليه تحت الأرض حيث يوجد على شكل ألواح متراكمة طول الواحدة حوالي 1.60 سم، ويتراوح عرضها بين 60 و80 سم، وسمكها في حدود 10 سم، ويحمل الجمل الواحد من 4 إلى 6 منها (Fernandes, 1938, p. 79)، فينقلونه عبر وادان ثم تيشيت ثم ولاتة إلى تنبكت ومنها إلى جنيّ، ويصدر بعدها لمختلف المناطق جنوبا.(De ca' da Mosto, 1895, pp. 88,91)

يشير بريرا إلى وجود الملح البحري في بعض المناطق السودانية، مثل بلاد البلوم/Péloomبالسراليون، وبلاد الإيجو/Ijo بجنوب نيجيريا (Mauny, 1956, p. 85)، لكنه لا يغني عن الملح القاري ولا يحقق حاجة السودانيين منه، فهم يستخدمونه للتبايع، ولطهو الطهام وتمليح السمك المجفف، كما استخدموه لعلاج الكثير من الأمراض التي كانت متفشية بينهم، لارتباط غالبيتها بنقصه لديهم حسب ظنهم، بالإضافة إلى علاج الأمراض التي تصيب حيواناتهم ذات الأعداد الكثيرة، وفي المناطق الغابوية اعتاد الملوك على وضع الملح دائما على شفاههم معتقدين أنها ستتدلى إذا لم يفعلوا ذلك .(Fernandes, 1938, p. 87)

في مالي كان السودانيون يستعملون الملح بكميات كبيرة، خصوصا بالقرب من المناطق الاستوائية؛ بسبب ارتفاع درجة الحرارة، فكان كل شخص من سكان هذه المناطق يأخذ قطعة صغيرة منه وينقعه مع قليل من الماء في ملعقة ويشرب منه كل يوم باعتبار ذلك نوعا من التداوي(De ca' da Mosto, 1895, p. 56)، ولذلك ارتفع ثمن الملح واستمر الطلب عليه، فحمولة الجمل منه التي تباع بـ: 1 مثقال في وادان، يبلغ ثمنها في تنبكت 100 مثقال (Fernandes, 1938, pp. 79,85)، وجنى تجار بلاد المغرب أرباحا كبيرة من خلال هذه التجارة، إذقدّرمالفنت أن مضيفه بتوات بلغ عائده منها 100000دوبل بعملتهم (De la Roncière, 1918, p. 15)،ولم تكن أرباح تجار الونغارة السودانيين الذين يسافرون بالملح نحو مناطق الغابات قليلة أيضا، بل بلغت60000 مثقالا ذهبيا في القافلة الواحدة (Fernandes, 1938, p. 87).

ويعد النحاس من أهم واردات إفريقيا الغربية، وقد أشار مالفنت إلى أن بعض الأنواع الموجودة منه في أسواق تنبكت مستوردة من رومانيا وآسيا الصغرى(De la Roncière, 1918, p. 13)، وعند كاداموستو أنه من السلع التي تحملها القبائل الصحراوية(De ca' da Mosto, 1895, p. 45)، بينما ذكر بريرا الأساور النحاسية باعتبارها إحدى مواد التبادل الرئيسية بالمنطقة الساحلية الغربية(Mauny, 1956, pp. 40,51,65,85,95)،وقد أمدنا أحد تقارير السفن أن سفينة برتغالية واحدة حملت:4010 قضيبا من القضبان النحاسية، و911 كلغ من الودع، و4000 قطعة من الخرز الزجاجي باعته للسودانيين (Mauny, 1956, p. 82)، وسجلت هذه المصادر استيراد الفضة من بلاد البربر (De ca' da Mosto, 1895, p. 56)، ووصول مختلف أنواع المنسوجات المغربية والأوروبية للأسواق السودانية المختلفة (Mauny, 1975, p. 82).

منذ القرن 15م أصبح البرتغاليون يساهمون في تجارة الخيول مع السودانيين في السواحل الغربية باعتبارها من أهم السلع المطلوبة (Mauny, 1961, p. 368)،وقد كانت أثمانها باهظة؛ حيث بلغ ثمن الفرس الجيد الواحد في تلك المناطق 15 عبدا (De ca' da Mosto, 1895, p. 48)، وتفيد شهادة فرناندیز أن ملك الولوف كان يتوفر على 800 فارس، وبأن خيول بلاده كانت قليلة ولذلك يستوردها من المناطق الداخلية بواسطة التجار المغاربة، أو من البرتغال بواسطة التجار البرتغاليين.(Fernandes, 1951, p. 7)

6- التجارة الصامتة:

تحدثت الكثير من المصادر العربية عن التجارة الصامتة كأسلوب للتعامل بين التجار وبائعي التبر في منطقة الغابات السودانية(المسعودي، 1986، صفحة 88)، ويقدّم كاداموستو معلومات تكاد تطابقها، حيث نقرأ عنده أن تجار الملح إذا

وصلوا إلى مكان محدد للتبادل مع أصحاب الذهب يتركون سلعتهم على شكل سلسلة من الأكوام، ويضع كل واحد علامته عند ملحه، ثم يتراجع كل أفراد القافلة إلى مسافة نصف يوم، للسماح لجنس آخر من السودانيين لا يريدون أن يراهم أحد بالقدوم، فيأتون على متن قوارب كبيرة كأنهم يخرجون من جزيرة، وعندما يرون الملح، يضعون قرب كل كمية مقدارا من الذهب، ويعودون إلى حيث قدموا، وإذا كانت المقادير مقبولة يأخذونها وإلا تركوها مع الملح، وعندما يعود أصحاب الذهب يأخذون الملح إذا وجدوا الذهب الموضوع قربه قد تم أخذه (De ca' da Mosto, 1895, pp. 57-58)، أما بريرا فيقول أن تجار الذهب في بلاد الطوم/Toom يتعاملون بنفس الطريقة، معللا ذلك بأنهم يتفادون الدخول في حوار مع غيرهم، ولا يريدون أن يروا أناسا آخرين أو يرونهم.(Mauny, 1956, pp. 65,67)

لقد رفض فرناندیز التصديق بهذا النوع من التجارة، بل أكد أن الوسطاء التجاريين من مجموعة الونغارة السودانية هم الذين كانوا حريصين على عدم كشف مصدر الذهب، من أجل استمرار احتكارهم لهذه التجارة والتمتع وحدهم بامتياز التعامل مع السكان المنتجين له دون غيرهم من المجموعات السكانية، مستندا إلى تصريح هؤلاء الوسطاء بعدم صحة الطريقة السابقة، وأنهم المخولون دون غيرهم بالتعامل مع مستخرجي الذهب، ولا يقبل هؤلاء الالتقاء بغيرهم سواء من البيضان أو السودان(Fernandes, 1951, p. 89)، وكان كادامستو قد أشار إلى حرص ملك مالي على أن لا يتصل البرتغاليون بمستخرجي الذهب(De ca' da Mosto, 1895, p. 59)، ولاشك في أن سبب ذلك منع فقدان مملكته لدور الوسيط التجاري واحتكار هذه التجارة.

أثارت هذه المسألة نقاشا كبيرا بين الباحثين، وانتهى فارياس/Farias في بحث عميق وثري جدا إلى أن مختلف النصوص المتعلقة بهذه الممارسة في إفريقيا الغربية لا تعدو كونها سلسلة من الاقتراضات المتلاحقة تعود بجذورها إلى هيرودوت، مشيرا إلى أنها أضعف من أن تثبت وجودا حقيقيا لها، مؤكدا في الوقت نفسه على أن الباحثين عجزوا في كثير من الأحيان بسبب التداخل بين الاقتراض الأسطوري والمعلومات التاريخية الحقيقية عن التمييز بين هذين النوعين من الأخبار داخل النص الواحد، فتعاطوا معها باعتبارها معلومات حقيقية يمكن الاستدلال بها، وأعادوا بناء الماضي من خلال هذا المزج.(Farias, 1974, p. 10)

خاتمة:

لقد قدمت المصادر الأوروبية إضافات بالغة الأهمية في إيضاح صورة الأنشطة التجارية بإفريقيا الغربية في العصر الوسيط المتأخر، ومع أن مادتها تركزت غالبا على المناطق الغربية فإنها تضمنت أيضا إشارات بالغة الأهمية إلى المناطق الأخرى وخاصة في النيجر الأعلى، وهي تبرز حركية كبيرة وتعددالأشكال التبادل في مختلف المدن، وتؤرخ لدخول الطرف البرتغالي كمنافس تجاري مع المسلمين المغاربة والمشارقة في محاولة لتحويل الطرق التجارية نحو المراكز التي أسسها على

السواحل الأطلسية، ولا يمكن فهم الكثير من التحولات السياسية والاقتصادية في إفريقيا الغربية والمغرب وأوروبا إلا بتفكيك المعطيات التاريخية التي قدمتها هذه المصادر، ذلك أن تفكيك الظاهرة الاستعمارية في إفريقيا الغربية ينطلق من هذه الفترة التي اكتشف فيها الأوروبيون منجما غنيا بأهم سلعتين في تحريك عجلة الاقتصاد يومها متمثلة في الذهب والعبيد، وهو ما حول الكشف الجغرافي إلى استقرار ثم استعمار طويل وعنيف.

قائمة المراجع:

1. Boisvert, G. (2000). « La dénomination de l'Autre africain au XVe siècle dans les récits des découvertes portugaises». *L'Homme, 153*, 165-171.
2. Boulegue et Marquet. (1971). «Le voyage de Richard Rainolds en Sénégambie (1591)». *Bulletin de l'IFAN . T: 33.(1)*, 1-13.
3. Boulègue, J. (1967). «Relation de Francisco d'Andrade sur les îles du Cap-Vert et la côte occidentale d'Afrique 1582» . *Bulletin de l'IFAN .T:29 (1-2)*, 67-87.
4. Da Mota et Mauny. (1975). «Le voyage du navire 'Santiago' à la Sierra Leone et à la Rivière de S. Domingos 1526». *Bulletin de l'IFAN . T: 37. (3)*, 589-603.
5. De ca' da Mosto, A. (1895). *Relation des voyages à la côte occidentale d'Afrique 1445-1457.* publiés par: Charles Schefer. Paris: Leroux.
6. De la Roncière, C. (1918). « Découverte d'une relation de voyage datée du Touat et décrivant en 4447 le bassin du Niger». *Bulletin de Géographie historique et descriptive .(8)*, 5-32.
7. Delafosse, M. (1912, T1). *Haut- Sènègal-Niger* (Vol. 1). Paris: Larose -Libraire-Editeur.
8. Delafosse, M. (1925). « Bibliographie». *Bulletin du Comité d'Etudes Historiques et Scientifiques de l'AOF 8 .(1)*, 28-33.
9. Devisse et Mollat. (1979). *L'Image du Noir dans l'art occidental: II : Des premiers siècles chrétiens aux grandes découvertes Les Africains dans l'ordonnance chrétienne du monde (XIV-XVI siècle).*Paris: Bibliothèque des arts.
10. Farias, P. F. (1974). « Silent Trade: Myth and Historical Evidence.History in Africa ». *History in Africa. Vol: 1*, 9-24.
11. Fauvelle-Aymar, F.-X. (2013). *Le rhinocéros d'or : Histoires du Moyen Age africain.* Paris: Alma editeur.
12. Fernandes, V. (1938). *Description de la côte d'Afrique: de Ceuta au Sénégal 1506-1507. publié par: P. de Cenival et Th. Monod* . Paris: Librairie Larose.
13. Fernandes, V. (1951). *Description de la côte occidentale d'Afrique : Sénégal du Cap de Monte Archipels 1506-1510. trad: Th. Monod A. Teixeira da Mota, R. Mauny.* Bissau: Centro de estudos da Guiné Portuguesa.
14. George and Kimbely. (1934). « The NE PLUS ULTRA of the West Africain Coast in Middle Ages». *The Mariner's Mirror. 20(3)*, 280-292.
15. Lowe, K. (2010). « Africa in the News in Renaissance Italy: News Extracts from Portugal about Western Africa Circulating in Northern and Central Italy in the 1480s and 1490s». *Italian Studies, 65:(3)*, 310-328.
16. Masonen, P. (2000). *The Negroland Revisited: Discovery and Invention of the Sudanese Middle Ages.*Helsink: The Finnish Academy of Science and Letters.

17. Mauny. (1956). *Esmeraldo de situ orbis de situ orbis : Côte occidentale d'Afrique du sud marocain au Gabon par Duarte Pacheco Pereira (vers 1506-1508).* Bissau: Centro de Estudos da Guine Portuguesa.
18. Mauny. (1961). *Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Âge d'après les sources écrites la tradition et l'archéologie.* Dakar: IFAN.
19. Mauny. (1967). «Le livre de bord du navire Santa-Maria da Comeiça (1522)». *Bulletin de l'IFAN .T:29 (3-4)*, 512-535.
20. Mauny. (1970). *Les siècles obscurs de l'Afrique Noire.* Paris: Fayard.
21. Mauny. (1975). « Livres de bord de navires portugais faisant la traite sur les côtes d'Afrique occidentale au XVIe». *Provence Historique .(99)*, 79-85.
22. McIntosh, S. K. (1981). « A Reconsidération of Wangara/Palolus, Island of Gold » . *Journal of African History. 22.*, 145-158.
23. Newitt, M. (2010). *The Portuguese in West Africa 1415- 1670 A Documentary history.* Cambridge: Cambridge University Press.
24. Oldham, R. D. (1925). «The Portolan Maps of the Rhône Delta: A Contribution to the History of the Sea Charts of the Middle Ages». *The Geographical Journal .Vol 65 (5)*, 403-424.
25. Prudhomme, (. c. (1925). « La sebkha d'ijil ». *B. C. E. H. S. A. O. F, T: 8*, 212-216.
26. Randles, W. G. (1988). «From the Mediterranean Portulan Chart to the Marine World Chart of the Great Discoveries: the Crisis in Cartography in the Sixteenth Century». *Imago Mundi. T: 40(1)*, 115-118.
27. Randles, W. G. (1993). «The Alleged Nautical School Founded in the Fifteenth Century at Sagres by Prince Henry of Portugal, Called the Navigator». *Imago Mundi: The International Journal for the History of Cartography . T: 45(1)*, 20-28.
28. Rizzo, G. J. (2006). «The Patterns and Meaning of a Great Lake in West Africa». *Imago Mundi: The International Journal for the History of Cartography . 58:(1)*, 80-89.
29. Sarazin, J.-Y. (2013). «Images des cités antiques, médiévales et du nouveau monde sur les cartes portulans du XVIe siècle». *Seizième Siècle. (9)*, 13-22.
30. Thilmans et Rossie. (1969). « Le 'Flambeau de la Navigation' de Dierick Ruiters». *Bulletin de l'IFAN . T: 31, (1)*, 107-119.
31. Thilmans et Rossie. (1969). «Le 'Flambeau de la Navigation' de Dierick Ruiters». *Bulletin de l'IFAN . T: 31, (1)*, 107-119.
32. Vidal, J. (1924). « La légende officielle de Soundjata, fondateur de l'Empire manding». *Bulletin du Comité des Etudes Historiques et Scientifiques de l'Afrique Occidentale Française, T: 8. (2)*, 317-328.
33. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي. (1986). أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران. تح: عبد الله الضاوي . بيروت: دار الأندلس.
34. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي. (2002. ج1). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تح: ر.روبيناتشي وآخرون. بيروت: مكتبة الثقافة الدينية.
35. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي. (2007). أنس المهج وروض الفرج – قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان – تح: الوافي نوحي. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
36. الهادي مبروك الدالي. (1999). التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
37. بوفيل. (1988). تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير. تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

38. حسن حافظ علوي. (1997). سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
39. حماه الله ولد السالم. (2007). تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
40. خالد أوشن. (2001. ج1). النشاط الاقتصادي في النيجر الأعلى من سنة 1230 إلى سنة 1591م. . رسالة دكتوراه غير منشورة. تخصص: تاريخ وسيط، جامعة محمد الخامس: المملكة المغربية.
41. زوليخة بنرمضان. (2015، ج1). المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/11و16م. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
42. عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي. (1981). تاريخ السودان. تح: هوداس. باريس: Libraire d' orient ‘Amérique et d .
43. غوميس آيانيس دي آزورارا. (2015). تاريخ اكتشاف وغزو غينيا. تر: أحمد ولد المصطف. نواكشوط: مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع.
44. فاطمة بوعمامة. (2011). اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق 14-15ميلادي. الجزائر: دار كنوز الحكمة.
45. محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة. (2007). رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار. ط4. تح: طلال حرب. بيروت: دار الكتب العلمية.
46. محمد حوتية. (2007). توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي). الجزائر: دار الكتاب العربي.